

افغانستان واميرها

افغانستان امانة واقعة بين الدرجة ٢٩ والدرجة ٣٨ من العرض الشمالي و٦١ و٧٢ من الطول الشرقي ومحدتها من الشمال املاك روسيا ومن الشرق الهند ومن الجنوب بلوخستان ومن الغرب ايران . ومباحثها نحو ٢٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ستة ملايين

وقد فتح القاتحون افغانستان من تتر وفرس ففتحها تيمور كنها و اضاف السلطان بير قندهار اليها في اوائل القرن السادس عشر . و بقيت في ايدي سلاطين المغول مدة قرنين من الزمان الى ان حدثت حرب الافغان الكبرى سنة ١٨٨٠ فاستولى الانكليز على كابول طاصتها وعلى قندهار بقيادة اللورد روبرتس وعرضوا منصب الامارة على الامير عبد الرحمن فقبله و جعلت الجنود الانكليزية عنها على ان تتولى انكثرا شؤونها الخارجية ولا تتعرض لشؤونها الداخلية بشيء وبعد وفاة الامير عبد الرحمن سنة ١٩٠١ خلفه ابنه الامير حبيب الله خان وما زال اميراً عليها حتى قتل في اواخر فبراير الماضي كما نقل البرق . وكان الامير عبد الرحمن يلقب « ضياء الملة والدين » اما الامير حبيب الله فلقب نفسه « مراج الملة والدين »

وقد نعاها مكاتب المقطم من لندن وقال انه لقي حتفه برصاصة اطلقها عليه جان في معكرو فاصابت منه مقتلاً وتوفي وهو في السابعة والاربعين من عمره والثامنة عشرة من حكمه . ويقول المكاتب ان الباعث على ارتكاب الجناية مجهول و ان التفاضيل معدومة ولكن القتل ثابت والوفاة محققة

ولا يبعد ان يكون الباعث على القتل علاقة بما هو حادث الآن في كابول من المساعي والتدابير لانشاء تحالف جديد في قلب آسيا بين امير افغانستان وامير بخاري الذي يستطيع التخلص من ضوذ روسيا في بلاده وسائر الخانات في قلب آسيا كما يحتمل ان يكون القتال من رجال قبائل الاقريدي التي ما برحت تقاوم الافغان هذا اذا لم يكن من البلشفيك وغايتها بث دعوته في تلك الاصقاع النائية متوسلاً الى ذلك برسائل البلشفيك المعروفة

ومع ان حبيب الله لم يبلغ شأو والده في الدهاء والمقدرة السياسية والبراعة

العسكرية فقد تمكن من صون منسك والمحافظة على عرشه وحفظ نفوذه على القبائل ولاسيما قبائل الحدود بتأليفه مجسداً خاصاً بامور تلك القبائل يشهد مندوبوها ويشتركون مع الحكام في فض مشاكلها

ولا يخفى ان سياسة افغانستان الخارجية قائمة على منع روسيا من الابدال جنوباً من اشارة بخارى الى حيث تنطرق الى افغانستان . وقد تفادى حبيب الله هذه السياسة باتفاق ابرام بين بريطانيا العظمى وروسيا في سنة ١٩٠٧ وخلصته ان بريطانيا العظمى لا تقدم على تغيير شيء في حالة افغانستان السياسية ولا تعرض لادارة امورها الداخلية ولا تمتنع شيئاً من املاكها ولا تستعين بنفوذها فيها على تهديد روسيا وان روسيا تعترف بان افغانستان خارجة عن دائرة نفوذها

على ان حبيب الله نشأ في مدرسة والده العسكرية وكان يعلم ان المعاهدات السياسية لا تدوم الى الابد ولهذا واصل تعزيز جيشه وتسلحه بواسطة حكومة الهند التي كانت تمدده باللاح والدخيرة حتى انه لما فتكت الافغولونا اخيراً رجال هذا الجيش عهد في الحال الى زيادة المجندين فرد فرق الجيش الى سابق عهدها من القوة . ولم يخرج من بلاده بعد جنسه على سرور الملك الا الى الهند فقد زارها في يناير ١٩٠٧ وكان حاكمها العام الثوردي منتوا فاستقبل بتعالي التكرم والاحترام وحافظ على ولائه لبريطانيا العظمى في الحرب الحاضرة فلما ارسل اليه الالمان والعثمانيون جماعة من دعايتهم ليوغروا صدره على البريطانيين ويزينوا له الافارة على الهند وتقض المعاهدات امر بالقبض على اولئك الدعاة فقبض على بعضهم ولا يزال الاحياء منهم مسجونين في كابول وفر البعض الآخر هائماً في البراري والقفار فقتله رجال القبائل طمأناً فيما كان معة من السلاح والمال

وبين رجال الانكليز الذين يعرفهم المصربوت والذين اشتغلوا بسياسة افغانستان السرهري مكماهون الذي كان نائباً للملك في هذا القطر فقد عين حكاماً بين افغانستان ويران سنة ١٩٠٥ في خلاف بينها على نهر الهند

واكبر مدن افغانستان كابول فاصتها وسكانها نحو ٢٠٠ الف . ومن مدنها قندهار وسكانها ٤٠ الفاً وهرات الشهيرة بطانفها وسكانها ٢٠ الفاً . وحكومة الهند تدفع الى الامير ١٨٥٠٠٠٠ روية امانة بمقتضى معاهدة ١٨٩٣ المبرمة مع عبد الرحمن

وفي الجيش الافغاني نحو ٩٠ الف مقاتل منهم ١٦ الفاً من الفرسان وعندده ٤٥٠ مدفعا ولكن قوة افغانستان الحقيقية هي في كثرة وعورها وصعوبة السير في جبالها وقفارها وعدم وجود الطرق وبراعة اهلها في الحرب غير النظامية وكثرة ما عندهم من البنادق والذخيرة مما كان يأتيهم بطريق خليج فارس وللأمير حبيب الله خمسة ابناء وهم عناية الله وحياة الله وامان الله وكبير الله واسد الله واكبرهم في الحادية والثلاثين من عمره . ويلقب امير افغانستان بصاحب الجلالة وهو لقب الملوك وقد كان قبل الحرب المأضرة الملك الوحيد المستقل في قارة آسيا ما عدا امبراطور اليابان

ونشرت جريدة الديلي تلغراف مقالة عن الامير المقتول ضمنها حديثا لسر هملتن غرنت ناظر الخارجية في حكومة الهند وهو يعرف الامير معرفة شخصية وقد زار كابول عاصمة افغانستان مع الوفد البريطاني الذي ارسل اليها في عام ١٩٠٤ - ١٩٠٥ واقام فيها ستة اشهر ولما زار الامير الهند سنة ١٩٠٦ عين السر هملتن غرنت لاستقباله في بشاور وهذا ما قاله مندوب الديلي تلغراف : كان الامير حبيب الله على جانب عظيم من الرزاة والوقار ولكنه كان لطيف المعشر رقيق القلب وكان متعلما مهذبا عظيم الاطلاع واسع العلم ولا سيما في العلوم الطبيعية والتاريخ وكان يقضي ساعات يتكلم عن اختراع جديد او اكتشاف حديث فيرى السامع منه من الاهتمام وسعة العلم والبراعة ما يدهشه وكان شديد العناية بالآثار القديمة في بلاده . وعما اذكره من هذا القبيل انه ارسل الى الهند من مدة قريبة دينارا عثرا عليه قرب كابول تعدد عليه معرفة الدولة التي ضربته فكلفني ان اجد من ينحسره فهديت الى بعض التجراء في هذه المهمة فكتبوا تقريرا وافيا في الموضوع فارسلته اليه ومعه كتاب طبع حديثا عن تقود افغانستان وهو محلي بالرسم ليسعين به في مباحثه فتني منه رسالة منذ ايام يشكرني بها كثيرا عن الكتاب ويشي علي لاني فكرت في ارسال هديتي اليه

وكان شديد البأس قوي انشكيمة حينما تقضي الحالة ذلك على انه كان يستكف من العقوبات المتناهية في الشدة فلا يامر بها الا عند ما تقضي بها اقصى الضرورة . نعم انه كان كثيرا ما يترك ادارة الامور لسواد وخصوصا اخاه نصر الله

ولكنه كان على السوام واقفاً على حقيقة الخائن في بلاده وكان القول الفصل له في جميع الشؤون الكبيرة وقد ظهر هذا في سياسته بعدما دخلت تركيا الحرب وبعد ما وصف السر هملتن غرقت ولاء الامير لبريطانيا العظمى والحلفاء في الحرب قال ان سياسته مع حكومة الهند كانت قائمة دائماً على قاعدة الصراحة انما فكان يطلعها على ما يهيمه وعندما بالرأي في كل ما يخص القبايل النازلة على حدود الهند الشمالية الغربية ثم قال ان الذين يعرفون الامير يحزنون لقتله فقد كان شهماً كريماً صادقاً شديد الوفاء لاصدقائه ورعاً بارعاً في السياسة وسابقاً للشعب الذي ولاء القسر حكمه وكان يحب شعبه حباً جماً وقد كان حبه هذا باعث له على صون بلاده من ويلات الحرب

وبما رواه السر هملتن عنه انه لما ذهب الوفد الذي تقدمت الاشارة اليه الى كابول كانت مهته ابرام معاهدة عنه والبحث في امور اخرى بهم الهند وافغانستان فدعا الامير اعضاء الوفد الى القصر المعروف بقصر الفلك لامضاء عقد المعاهدة وكانت مكتوبة على رق في نسختين فعرضت عليه ليجيها وتقدم احد رجال حاشيته ليماعده فأراق نقط حبر على احدى النسختين واسرع الموجودون بالطباشير وورق النشاف لازالة الطمخة ولكنها ظلت ظاهرة فأقسم الامير وقال « ان الذي يهتنا هو محتويات المعاهدة لا منظر العقد فانما هذه الطمخة شامة على وجه المعاهدة »

وقبل عودة الوفد الى الهند حدث امر يدل على لطف الامير وشدة عنايته بالدين يجتمع بهم فقد دعانا الى مأدبة ضخمة اديت في قصر اخيه الامير نصر الله وكان الامير حبيب الله لابساً ثوباً انرجسياً من رداء الهرة وصدريه مفتوحة وتبين لنا ان هذا هو الثوب الرسمي انشأ في حفلات الليل وبعد المشاء التفت الى ضيوفه وقال « لنصعد الآن الى الدور الاول ونسخن وارجو ان ترتفع كل كلمة بيننا فاني اروم ان اكون صديقاً بين اصدقاء »

وبما يدل على حبه لتفكاهه انه لما ودعه اعضاء الوفد اعطى كلاً منهم صورته التوتوغرافية ممضاة باعضائه وهدايا صغيرة لطيفة وكان فيما اهداه لاحدهم قلم رصاص من الذهب المرصع وقال له رأيتك تكتب كثيراً في اثناء المفاوضات بقلم قبيح المنظر فارجو ان تستعمل هذا القلم بدلاً من ذلك »